يتوجب أن يكون العنف والسلطة في المجتمع ذاته. ففي حالة المقاومة الفلسطينية تتطلب فعالية العنف كأداة للتغيير السياسي تحلل السلطة الشرعية في محيطين : محيط الاعداد (الاردن ولبنان وسوريا) ومحيط التنفيذ (فلسطين/اسرائيل)(٤١).

بالاضافة الى منظور حنه اريندت ، يمكن دراسة العنف الفلسطيني في اطار الازدواجية ــ القطبية للمستعمر/المستعمر التي يقدمها فرانز فانون . وكثيرا ما ألمح قادة حركة المقاومة الفلسطينية ، وخاصة قادة فتح ، الى أن فرضية فانون تنطبق على نضالهم ضد الاستعمار الصهيوني في فلسطين. ويذهب قادة المقاومة الى أن استخدامهم للعنف (الكفاح المسلح) أمر مشروع ، خاصة في محاولتهم لتحرير فلسطين من السيطرة الاجنبية والانسان الفلسطيني مما يدعوه قادة المقاومة الانغلاق العرقي للبنية السياسية الصهيونية في فلسطين .

ان الصحة النظرية لهذا الموقف ، الذي طور بوعي منذ عام ١٩٦٧ على هدي خطوط نموذج فانون ، تتعلق مباشرة بعملية التحرير الفعلية . ويعي واضعو استراتيجية فتح حتمية العنف في الاطار الفانوني ومن هنا موقفهم الصلب من الكفاح المسلح . ومن المثير للانتباه ان نلاحظ هنا أن الابداعية الانسانية الشمولية في عنف فانون المحرر قد اصبحت النغمة الغالبة في خطابات الثورة الفلسطينية . فالمجتمع الفلسطيني الديمقراطي العلماني هو ، بالنسبة لفتح ، تتويج هذا الابداع الذي سينجز عند تحرير الواقع الفلسطيني الحقيقي . غير أنه يجب ان يشار الى ان المجتمع « الديمقراطي العلماني » الذي تأمل فتح أن تقيمه في فلسطين بعد تدمير البنية الراهنة لاسرائيل ، هو في احسن الاحوال شعار غامض يجب ان يوضح ويطور . هل يكون هذا المجتمع بنية عربية مؤسسة على القومية العربية تحكمه اغلبية عربية ، أم يكون مجتمعا انسانيا حقا مفتوحا للعرب والاسرائيليين، والمسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء ؟ لسوء الحظ ، فشلت حركة المقاومة الفلسطينية حتى الان في تقديم أي وصف مقنع مفصل لمجتمع المستقبل هذا . اذ ان ما قدمته حركة المقاومة خلال السنوات الثلاث الماضية ليس الا محاولة ضعيفة للاضفاء على مجتمع المستقبل هذا نوعا من الانسانية الشمولية ، يجب ان يتخذ شكلا مقنعا . واذا كانت حركة المقاومة تسعى ، صادقة ، الى غاية انسانية كهذه ، فان عليها أن تقول بلا تردد أن المجتمع الجديد الذي سينشأ بعد التحرر سيرفض بحزم كل الميول الايديولوجية القومية التي تفضل شعبا على آخر ، أي العرب على اليهود . فاذا ما صدر بيان كهذا، توجب على حركة المقاومة لتدلل على هذه الانسانية أن تسعى سعيا حثيثا الى اقامة حوار ذي معنى مع العناصر اليهودية التقدمية الاشتراكية داخل اسرائيل وخارجها ، ليس تلك العناصر التي تحمل عقيدة العنف فحسب ، بل ايضا تلك التي تؤمن ، صادقة ، بامكانية حل لا عنفي .

المنظور النظري الثالث الذي يمكن تطبيقه على المقاومة الفلسطينية هو الفرضية الماركسية : استخدام العنف مبرر عندما يصبح النظام الاجتماعي في مجتمع معين قمعيا بما لا حاجة له . ويبدو هذا الموقف أشد ما يكون وضوحا في موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . فموقف الجبهة هو في الاساس « أن نظاما اجتماعيا قمعيا بما لا ضرورة له » يقوم في المجتمعات العربية واسرائيل جميعا ، وهذه ظاهرة لا تمكن ازالتها الا بالعنف . لذا فللنضال الثوري ، كما تراه الجبهة الشعبية ، دوران مميزان ومع ذلك لا يمكن فصمهما : تحرير فلسطين والانسان الفلسطيني من الاضطهاد الصهيوني ، وتحرير المجتمع العربي من القوى المضادة للثورة والرجعية . يختلف هذا الموقف عن موقف فتح التي تنظر الى النضال الفلسطيني من منظور ميكروسكوبي ، هو بالتحديد أن الكفاح من اجل فلسطين « مهمة فلسطينية حصرا »(٤٢) وبهذا فهو « الطريق الوحيد لتوكيد شخصية الفلسطينيين الوطنية »(٤٣). من جهة اخرى تنظر الجبهة الشعبية الى النضال من منظور ماكروسكوبي فهي قد « اعتبرت مصير الكفاح الفلسطيني مرتبطا بالنتيجة بنجاح الحركة الثورية على مدى العالم العربي »(٤٤) يجب ان نتذكر ان الفروق بين فتح والجبهة الشعبية ، هي في الواقع فروق دقيقة وليست فروقا صارخة كما قد توحي قراءة عابرة لادبياتهما . وكمثال على ذلك حدث في الشهور الاخيرة تطور في مفهوم فتح للتحرير الذي كان فلسطينيا في الاساس فاصبح التحرير يوضع في مضمار نضال اوسع ضد الامبريالية العالمية . كذلك أبدى مظهر الحياد الرسمي لفتح تجاه